kitabweb-2013.forumaroc.net

المناهل

9

المناهل

تصدرها
وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية
الرباط - المغرب

العدد التاسع — رجب 1397
السنة الرابعة — يوليو 1977

اللغة السواحلية
وأثر العربية فيها حاليا

محمد الفاسي

الكل يعلم أن اللغات الاسلامية من فارسية وبربرية وتركية ولغة الاوردو وغيرها تأثرت كلها بالاساليب العربية ودخلها عدد كبير من المفردات العربية يتراوح ما بين الخمسين والستين فى المائة ولقد جعلتنى أسفارى المتعددة فى نواحى العالم اتصل مباشرة بهذه اللغات واهتم بهذه الناحية من الاشعاع الحضارى واللغوى للغة القرآن وقد قدمت لكم فى السنين الاخيرة دراستين عن أثر اللغة العربية فى البربرية وفى التركية ولى دراسة أخرى عن الفارسية وهى أكثر اللغات العجمية تأثرا بالعربية . وقد آثرت فى هذه الدورة أن أحدثكم عن لغة أخرى يتكلمها أهالى افريقيا الشرقية وهى السواحلية اللغة الرسمية لطانزانيا ويتكلمها كل السكان المسلمون منهم وغيرهم من الوثنيين والمسيحيين فى كل بلاد افريقيا الشرقية من الاوغاندا الى شمال الموزامبيق . بل ويستعملها كذلك بعض أهالى عمان .

ولقد أمكننى أن أدرس هذه اللغة خصوصا من ناحية المفردات عند مقامى بنايروبى عاصمة الكينيا للمشاركة فى المؤتمر التاسع عشر لليونسكو فى شهرى أكتوبر ونوميبر الماضيين وانتهزت هذه الفرصة فذهبت لدار السلام حيث

استعمال اللغة السواحلية عام فى الحياة اليومية والادارية واقتنيت كتبا فى النحو وقواميس مختلفة وانكبت فى هذه الاشهر الاربعة على استخراج المفـــردات العربية الموجودة حاليا فى السواحلية واقول حاليا لان فتـــرة الاستعمار الانكليزى جعلت الفاظا انكليزية وهندية كثيرة تحل محل مفردات عـــربيـــــة .

ويظهر من دراسات المتخصصين أن عرب عمان واليمن كان لهم اتصال متين ببلاد الزنج قبل الاسلام ونزح منهم كثيرون الى هذه البلاد للتجارة أولا ثم للاستيطان حيث تزوجوا من النساء الزنجيات ونتج عن ذلك امتزاج بين العنصرين وتاثير كبير للغة العرب على لغة البانتو الاصلية لسكان السواحل الشرقيـــــة .

ومن اقدم النصوص العربية التى نجد فيها استعمال لفظة السواحل ما ذكره ابن بطوطة فى رحلته حيث قال : « ثم ركبت من مدينة مَقْدَشُو (وقد ضبطها هكذا) متوجها الى بلاد السواحل قاصدا مدينة كلوا من بلاد الزنوج فوصلنا الى جزيرة مَنْبَسَى » . واللغة التى نتجت عن امتزاج العرب بالزنوج فى هذه السواحل سميت السواحلية .

واصل السواحلية من لغة البانتو التى تتفرع الى عدة لغات تستعمل فى وسط افريقيا وجنوبها من الكامرون الى بلاد السواحل الشرقية وتمتاز بكونها لا تقبل السكون فى مقاطعها وكل مقطع ينتهى بحرف محرك . وهذا ما جعل الالفاظ العربية التى دخلت هذه اللغة تتكيف حسب هذه القواعد . ومن مميزاتها ايضا ان لها عددا كبيرا من الزوائد فى أول الكلمات (سوابق) وفى آخرها (لواحق) (Préfixes - Suffixes) للتعبير عن عدة معان فى الاسماء والافعال مما يجعل مثلا احيانا الكلمة العربية عائمة وسط هـــذه المقاطع كما سنراه . وتمتاز كذلك بعدم وجود اداة للتعريف ولا فرق فيها بين المذكـــر والمؤنـــث .

والملاحظ أن التاثير العربى لم يتعد المفردات اما النحو والصـــرف فانهما بقيا على اصلهما الا ما كان من دخول بعض حروف الجر والعطف ونحوها وبعض الظروف مثل حتى ، لاكن ، ولا ، بعد ، بـــلا ، كما ، او .

ومن البديهى أن نطق كثير من أصوات الحروف العربية تغير كما هو الشأن فى اللغات الاسلامية الاخرى باستثناء البربرية التى هى لغة سامية كما كنت شرحته فى دراستى عنها .

وهكذا نرى أن الحاء والخاء والهاء تنطق كلها هاء وتكتب اليوم H بعد أن عدلوا عن الحروف العربية الى الحروف اللاتينية تحت تأثير الارساليات المسيحيـــــــــــة .

والعين تنطق همزة حسب حركتها فيقولون للعسل اسلى . وللعمارة إمـــارا ، وللعـــذر اذرّو .

والقاف تنطق كافـــا : كابيلا = قبيلـــة . كافلا = قافلة . كلامـــو = قلـــم . وتـــرد أحيانا معقـــودة نحـــو GALME = قلـــب .

أما الطاء فتكتب مثل التاء أى بحرف وحده فيكتبون Taibu = طيـــب و Tabiru تعبيـــر .

وفى الكتابة بالحروف اللاتينية يميزون بين التاء والثاء بكتابة المثلثة بحـــرفـــــى Th

ويميزون فى الكتابة اللاتينية الذال عن الدال بكتابته بحرفى Dh كما يكتبون الضاد كذلك بهذين الحرفين .

وتقلب الباء أحيانا ميما مثـــل Galme بمعنى قلـــب .

وتقلب الخاء أحيانا غينا نحو غاف = خفيف بمعنى أهميته خفيفة أى ضعيفـــــة .

وينقلب الدال أحيانا تاء مثل دقـــة = Tike وبارود = Baruti

وينقلب الضاد أحيانا صادا والطاء دالا نحو ضبط = Sabidi

قدمنا أن الالفاظ العربية التي دخلت السواحلية تكيفت حسب قواعد هذه اللغة وهكذا حيث أن السواحلية لا تكاد تقبل سكونا فكلما اقتبسوا مفردة فيها سكون الا وعوضوه بحركة وكثيرا ما تكون كسرة مثال ذلك :

أولا : تعويض السكـــون بالكسرة :

مَرْجَـــان	= مَرِجانـــي	Marijani
مَطْلَـــب	= مَطِلَبَـــا	Matilaba
صِنْـــف	= صَنِيـــفـــو	Sanifu
سِتْـــر	= سِتِـــري	Sitiri
مَجْـــرَى	= مَجِـــرَا	Majira
وَسْـــواس	= وَسِواســـي	Wasiwasi
فِتْـــنَـــة	= فِتِنَـــا	Fitina
أُجْـــرة	= أُجِـــرا	Ujira
حَسْـــرة	= هَسِـــرا	Hasira

ثانيا تعويـــض السكون بالضـــم :

صِفْـــر	= صِفُـــري	Sifuri
حُرْمَـــة	= هُـرُمـا	Huruma
حُـــزْن	= هُـزُنـــي	Huzuni
قَصْـــد	= كُسُـــدي	Kusudi
بُغْـــض	= بُغُـوضـــا	Bughuda

ثالثـــا : تعويـــض السكون بالفتـــح :

مدرســـة	= مَدَرَســـا	Madarasa
قهـــوة .	= كَهَـــاوا	Kahawa
وقـــت (بمعنـــى اثنـــاء)	= وَكَتِـــي	Wakati

ومـــن التغييرات التى تطرأ علـــى الكلمات العربية عند دخولهـــا فى السواحلية أن وزن فَعْل يصير فُعَلي مثل فَتْح = فُتَهِي ، وفَسْخ = فُسَهي . وكذلك فِعْل يصير فُعُلِـــى نحو فِطْـــر = فُطُـــرِي .

ومن الامثلة عن الكلمات العربية التى تدخل عليها زوائد تجعلها غامضة وكأنها عائمة وسط تلك الحروف والمقاطع العربية أورد ما يلى :

جُمْليشـــــا = اى جَمَعَ وهذه اللفظة مأخوذة من مادة جملة

شُغُليكـــــا = اى شَغَـــل

صافيشـــــا = اى نظيف من الصفـــاء

تشاكـــــولا = اى أكَـــلَ

ماجيبـــــو = اى جـــواب

عليميشـــــا = اى علَّمَ من إليـــم = عَلِـــمَ .

والسواحلية من اللغات المسماة ذوات الطبقات وذلك أنهم يجعلون حروفا أو مقاطع فى أول الكلمات للتعبير عن الافراد والجمع وعن التصغير وعن أسماء حيوانات ونباتات وهكذا فيقولون مثلا أن كلمة متى أى شجرة وجمعها ميتى من طبقـــة Mi - M وكلمـــة مْتُو أى شخـــص وجمعها واتـــو مـــن طبقـــة wa .M

وهذه الطبقـــات سبع وهـــى :

الطبقة الاولـــى : Vi. Ki كي ـــ پي مثالها : كيتو = شىء : پيتو = أشياء .
الطبقة الثانيـــة : Mi. M مْ ـــ مى مثالها : مْجى = مدينة : ميجى = مدن .
الطبقة الثالثـــة : Wa. M مثالها : مْطوطو : ولـــد . واطوطو : أولاد .
الطبقة الرابعـــة : N (ويتفق فيها المفرد والجمع)
الطبقة الخامسة : Ma (وهـــى كالتى قبلهـــا)
الطبقة السادسة : U ولها استعمالات كثيـــرة .
الطبقة السابعة : Pa لبعض الاسماء و ku للافعـــال .

ومن الطريف انهم اذا اقتبسوا كلمة عربية تبتدىء بكاف مكسورة اعتبروا هذه الكلمة من الطبقة الاولى وجمعوها بحذف ك وتعويضها بالمقطع Vi مثال ذلك كتابو وجمعه عندهم ڤِتابو أى كتب .

وتدل الكاف المكسورة ايضا عندهم على التصغير نحو كْسوماري وهو تصغير مْسوماري اى مسمار ، ويلاحظ انهم اعتبروا لفظ مسمار لابتدائه بالميم من الطبقة الثانية فلما أرادوا تصغيره حذفوا الميم من اوله لاعتبارها من الزوائد وجاؤوا بالكاف المكسورة للتصغير فصار كِسوماري لاكِمْسوماري .

وعندما يأخذون كلمة يجعلونها حسب أذواقهم من طبقة معينة فأرز الشجر المعروف مثلا قالوا فيه مْويريزى Mwerizi ووردة قالوا فيها مْويريدى Mweridi وهكذا .

ومن أساليب أخذهم عن العربية انهم يكررون بعض الكلمات جاعلين من المجموع كلمة واحدة فيقولون مثلا هالا هالا اى حالا وسواسوا اى سواء وكأنهم سمعوا العرب يؤكدون المعنى بتكرار اللفظ فاعتبروا ذلك كلمة واحدة .

ومنها انهم يأخذون جملا كأنها لفظ واحد وذلك كقولهم كُنْ راضى Kunradhi بمعنى اعذرنى لا تؤاخذنى وكقولهم للتشكر أسنت اى أَحْسَنْتَ وكثيرا ما يقولون أَسَنْتِ صَنَا اى أحسنت صنعا ولاكنهم يعنون بذلك شكرا جزيلا ظنا منهم أن صنعا معناها كثيرا . ومن هنا استعملوا لفظة صَنا بمعنى كثيرا حتى فى غير الشكر . فالعبارة السابقة مثلا يضمون لها صنا للزيادة فى الاعتذار فيقولون كُنْ راضى صَنا : kunradhi Sana (أى كن راضيا جدا بمعنى اعذرنى كل العذر) .

ومن هذه العبارات قولهم ما دام بنفس المعنى العربى ويكتبونها بالحروف اللاتينية هكذا Maadam وحرف a الثانى بعد الميم للدلالة على المد .

* * *

ومما ينبغي التنبيه عليه أن كثيرا من المفردات العربية عندما تدخل اللغة السواحلية يطرأ على معانيها تغيير يبعد بها عن المعنى الاصلى كثيرا او قليلا . ومن الامثلة على ذلك الالفاظ الآتية حيث يبعد معناها عن المعنى الاصلى .

كَبْلا (أى قبلا) ومعناها باكرا .

صَدِيكي (أى صَدَقَ) ومعناها ظن .

صَرَفُو (أى صَرَفَ) ومعناه النقود .

فِكِيري (من فَكَّرَ) ومعناه اعتبر .

فُروضا (من الفرض) ومعناه مكتب الديوانة أى الكمرك باللغة التركية

دَواتي (من الدواة) ومعناها ما يكتب عليه .

مْفرجي (من الفرج) ومعناه الخندق (لانه منفرج) .

تَرَاتِبُو (من الترتيب) ومعناه ظريف .

دَسْتوري (من الدستور) ومعناه المنهاج .

لازِما (من اللزوم) ومعناه الواجب .

لابُدا (من لابُدَّ) ومعناها ربما .

زَوَادِي (من الزيادة) ومعناها الهدية .

هَفيفُو (من خفيف) ومعناه لا قيمة له .

ومن الكلمات التى لا يبعد معناها كثيرا عن المعنى الاصلى ما يلى :

أَماني (من الامان) ومعناه السلم .

فَسيري (من التفسير) ومعناه تَرْجَمْ .

فَهالي (أي فَحْل) ومعناه ثـــور .

هَبـــا (أى حبـــة) ومعناه شيء قليـــل .

هَرَكـــا (أى حركـــة) ومعناها السرعـــة .

واليكم الآن أمثلة من مفردات لم يتغير كثيرا لا مبناها ولا معناها فتظهر عربيتها لاول وهلة بدون اعمال نظر مع العلم أن السواحلية تزيد فى آخـــر الكلمة اما حركة مضمومة أو حركة مكسورة واذا كانت اللفظة العربيـــة مفتوحة الآخر تركوها على حالها :

بارِدي	=	بـــارد	سُكارِي	=	سُكَّـــر
لِجامو	=	لجـــام	إِلْفـــو	=	أَلْـــف
دَمـــو	=	د م	فَهَمـــو	=	فَهِـــمَ
صَنْدوكو	=	صنـــدوق	جِراهـــا	=	جِراحـــة
رصاصي	=	رصاصـــة	أَذا	=	أَذى
غالـــي	=	غـــال	أَصِلِـــي	=	أَصْـــل
طَبيبـــو	=	طبيـــب	بَرَكـــا	=	بركـــة
سَمَكِـــي	=	سمـــك	بَطَـــا	=	بَطَّـــة
فرســـي	=	فـــرس	بِلَـــوْرِي	=	بِلَّـــوْر
أرضـــي	=	أ ر ض	بُنْدُكِـــي	=	بندقيـــة
دَوا	=	د و ا ء	دينـــي	=	ديـــن

تَكيكـا	= دقيقـة	فَضِلِـي	= فَضْـل
مَسْكِنْـي	= مِسكـين	هكيكـا	= حقيقـة
زَبِينـو	= زبيـب	كَنيسـا	= كنيسـة

ومن الكلمات التى لم يتغير معناها وانما تغير اما مبناها او نطق حروفها بسبب عدم وجود بعض الاصوات فى السواحلية كالعين والحاء والخاء والقاف مثلا هـذه الامثلـة :

جيـو	=	أَجْـاب
هميـرا	=	خميـرة
جِبِنِـي	=	الجبنـة
نسـو	=	نصـف
أَفِيـا	=	عافيـة
أَيْنَـا	=	عينـة
بَهـارِي	=	بحـر
كُفُولِـي	=	قُفْـل
رهوسـا	=	رُخْصـة
بِرِيكـا	=	بِـرْكـة
هِمَـا	=	خيمـة

* * *

وقد عمدتُ الى احصاء الكلمات العربية الدخيلة فى السواحيلية استنادا على قاموس سواحلى انكليزى فوجدت أنها تفوق الاربعين فى المائة ولم اعد الكلمات المشتقة من مادة واحدة ، ولم يخصص لها غالبا مؤلف القاموس محلا فى ترتيبه العام وانما اكتفى بما ورد منها فى المادة المعنية على غرار ما يفعله أصحاب القواميس العربية القديمة ويظهر لى أن لو جمعت تلك المفردات كلها لاصبح عدد الكلمات العربية فى السواحلية خمسين فى المائة .

وفى الختام أريد أن أنبه الى ظاهرتين الفتتا نظرى أثناء الدراسة : أولاهما أن كثيرا من الكلمات العربية المستعملة فى السواحلية لها شبه كبير بالاستعمالات المغربية وذلك نحو قولهم للتجارة بياشرا اى البيع والشرا وهى العبارة السائرة عندنا لهذا المعنى فان كنا نقول التاجر فلا نستعمل فى لغة التخاطب لفظ التجارة وانما نقول : البيع والشراء .

ومن ذلك قولهم : وادى ناسى اى ولد الناس وهذا هو الاستعمال الشائع فى المغرب للتعبير عن الانسان الفاضل المتخلق بالاخلاق الحميدة .

ومن ذلك تسميتهم الرسالة بلفظ باروا وهى بالمغرب برا من اللفظ العربى براءة .

ومن ذلك تسميتهم الاسكاف مَهَرْزِي اي مخرزي وهو ما نسميه بالمغرب خراز .

وكذلك تسميتهم الحبل الصغير كامبا وهو ما نسميه بالمغرب قنبة .

وكذلك تسميتهم الاسبوع جوما اى جمعة مثل ما نقول بالمغرب ولعل هذا الاستعمال يوجد فى لهجات عربية اخرى .

ومن ذلك قولهم حُضُورْيو للحضور فى الكتاب القرآنى وفى المغرب المحضرى هو تلميذ المسيد اى المدرسة القرآنية .

وهذه الظاهرة كان لاحظها ابن بطوطة عند أهل اليمن وبالاخص فى مدينة ظفار . وقد قدمنا أن عرب اليمن وعمان هم الذين كانوا ينزحون

الى بلاد السواحل للتجارة وللاستيطان . قال ابن بطوطة : (1) « ومن الغرائب أن أهل هذه المدينة أشبه الناس بأهل المغرب فى شؤونهم . نزلت بدار الخطيب بمسجدها الاعظم وهو عيسى بن على الكبير القدر الكريم النفس فكان له جوار مسميات بأسماء خدام المغرب احداهن اسمها فاختة والاخرى زاد المال (2) ولم أسمع هذه الاسماء فى بلد سواها . . . وفى كل دار من دورهم سجادة الخوص معلقة فى البيت يصلى عليها صاحب البيت كما يفعل أهل المغرب . وأكلهم الذرة . وهذا التشابه كله يقوّي القول بأن صنهاجة وسواهم من قبائل المغرب أصلهم من حمير . » اهـ.

وهذا ما يجرنا الى الكلام عن الظاهرة الثانية التى الفتت نظرى فى اللغة السواحلية وذلك أننى لمحت كذلك شبها مع البربرية فى أصول هذه اللغة .

أولا : فى كون الاشياء التى ليست صلبة كالسوائل لا تستعمل الالفاظ التى تعبر عنها الا جمعا كما هو الشأن فى البربرية وفى العبرية وهكذا فى السواحلية :

ماجى = المياه

مازيوّا = الحليب

مافوتا = الزيت . وكل هذه الالفاظ على صيغة الجمع .

ثانيا : فى مفردات لم تؤخذ عن العربية وتعتبر أصيلة فى السواحلية ومنها :

---

1) طبعة المكتبة التجارية الكبرى القاهرة 1967 ج 1 ص 165

2) وهذان الاسمان لازالا معروفين بالمغرب ويقال للاسم الثانى اليوم : زيد المال .

فيســـــى = الضبع وهى فى البربرية افيـــس .

و ا = ابن وهو فى البربرية ا و .

ز و ر ى = جميل وهو فى فى البربرية زيل ـــ واللام تقلب راء فى كثير من اللغات . وهذا يقع كذلك فى السواحليـــة

فهـــم يقولـــون إنگـــريـــزا للانگـــليـــز . ومـــن وجـــوه الشبه كذلك أنهم يزيدون همـــزة محركة بالضم هكذا u فى أول الكلمـــات مـــن أسماء وصفات كما يزيد البرابرة همزة مفتوحة . وهكذا نجد فى السواحلية أاربـــو (اى أعْرَبـــوا) ويقصدون به العربى فى حين يقول البرارة للعربـــى اعَرَبِـــي وفى السواحلية كذلك أفوكارا اى الفقير وفى البربرية أفقير .

ومن أوجه الشبه أن السواحلية ليست فيها أداة للتعريف كما هـــو الشأن فى البربرية وقد كنت ذكرت فى بحثى « البربرية شقيقة العربية » أن الهمزة فى أول الاسماء والصفات بقية من أداة التعريف القديمة . ولاشك أن أ فى اللغة السواحلية كذلك .

هذه لبنة أخرى أضعها بين أيديكم فى بناء هذا النصب الهائل لاشعاع اللغة العربية فى العالم شرقا وغربا تحت لواء الاسلام الذى لولاه لبقيت منحصرة فى جزيرتها المنقطعة من بقية العالم والسلام عليكم ورحمة الله .

الربـــاط محمد الفاسى